

منهج محمد العاصمي في شرح الحديث النبوي من خلال مجلة "صوت المسجد"

Method of Mohammed al - Assimi to explain the Hadith
Through the magazine "Voice of the mosque"

أ.د مختار نصيرة1

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

necira03@gmail.com

تاريخ الوصول: 2019/07/17 القبول : 2021/04/18 النشر علي الخط: 2021/06/15

Received: 17/07/2019 Accepted : 18/04/2021 Published online : 15/06/2021

ملخص:

تناول هذا البحث المنهج الذي سلكه محمد العاصمي في شرحه للحديث النبوي من خلال مقالاته في مجلة صوت المسجد التي كان يشرف عليها، وركزنا فيها على الخطوات التي يتبعها في شرحه مع التمثيل لكل خطوة منها، كما تناولنا مصادره الحديثية وشروحها وغيرها من المصنفات التي اعتمدها في شرحه، وقبل ذلك عرفنا بالعاصمي ومكانته العلمية و"مجلة صوت المسجد".

الكلمات المفتاحية: الشرح الحديثي، الحديث النبوي، محمد العاصمي.

Summary:

This research dealt with the approach taken by Muhammad Al-Asamiin his commentary on the Prophet's Hadith through his articles in the magazine Sawt Al-Masjid, which he supervised, and we focused on the steps that he follows in his explanation with representation for each step. , And before that we knew the capital and scientific status and "Journal of the voice of the mosque".

Keywords: Al-Sharh Al-Hadithi, the hadith of the Prophet, Muhammad Al-Asimi.

مقدمة:

إن التعريف بحاضرة الجزائر الدينية والعلمية والدعوية والإعلامية عبر التاريخ يتطلب منا تناول جميع جهود أعلام الجزائر بالجمع والتحليل والنقد، دون إقصاء لأحد، مع الإنصاف في الدراسة والعمق في التحليل والاعتدال في النقد.

وهذا يعني أنه ليس ضروريا أن تكون الشخصية مضمون الدراسة مجمعا عليها حتى تكون عينة للدراسة والتحليل وإلا فلا، فهذا الأسلوب يغير الموضوعية في منهج البحث العلمي.

فالعلم المقصود بهذه الدراسة . محمد العاصمي . يشكل نموذجا للشخصية الدينية والدعوية والإعلامية إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر التي اختلفت حولها الآراء قبولا وردا، وذلك بسبب رضائه بالعمل في الإدارة الفرنسية، الأمر الذي جعل عددا من الباحثين يستنكفون عن التعريف به وإظهار جهوده في الساحة الدينية الجزائرية في تلك المرحلة.

ونحن طرقتنا هذا الباب قصد فصل الجوانب العلمية، عن غيرها من الجوانب التي تتحكم فيها الذاتية والانتماءات الأيدولوجية، وبيان طريقة شرحه للسنن النبوية، واختياراته في شرحه.

فعرّفنا به وبمجله "صوت المسجد"، وذكرنا مكانته من خلال آراء أقرانه فيه، ثم تناولنا مسلكه في شرحه للحديث النبوي من خلال مقالاته العشرين التي نشرت في جريدة "صوت المسجد".

ترجمة محمد العاصمي:

1.1 اسمه ونسبه ومولده وتعلمه:

هو أبو الفيض محمد العاصمي: مفتي الحنفية بالجزائر، عالم، أديب، له اشتغال بالصحافة⁽¹⁾.

ولد حوالي (1307هـ - 1888م) بأولاد إبراهيم نواحي بوسعادة⁽²⁾.

درس في قسنطينة، ثم رحل إلى تونس فنال الإجازات من جامع الزيتونة، ومن شيوخه فيه أحمد الأمين بن عزوز، من آل ابن عزوز جهة طولقة ومن مؤسسي زاوية نفطة.

وبعدها درس في زاوية الهامل على الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي، عمدة هذه الزاوية في وقته.

ثم سافر إلى القرويين أيضا، فأخذ بها عن بعض المشايخ، وهكذا جمع بين العلوم الإسلامية وعلوم الحياة والسياسة أثناء العقد الأول من هذا القرن، وهو فترة دقيقة من حياة الجزائر وحياة العالم الإسلامي كله.

(1) معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص220. موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، 269/2.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي (3/ 100)

وكان من أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين، ثم انقلب عنها في الأربعينات حين أصدر مجلة "صوت المسجد" لسان حال رجال الدين الرسميين⁽¹⁾. توفي بحادث سيارة بمدينة الجزائر يوم 14 نوفمبر 1951م⁽²⁾.

2.1 مكانته العلمية: يعد محمد العاصمي من الشخصيات المثيرة للجدل؛ وذلك بالنظر إلى مسيرته العلمية والدعوية والوظيفية. فالعلمية برزت من خلال تمكنه وبراعته في علوم مختلفة دينية ولغوية وإعلامية وغيرها. والدعوية برزت في المجالات والجرائد التي أسسها وشارك في تحرير موادها. وهاتان المسيرتان كفيلتان لرسم الشخصية العلمية الدعوية للعاصمي، إلا أن الوظيفة الدينية الحكومية الفرنسية التي تقلدها، ومجانبة العمل الدعوي الإصلاحي الذي نادى به جمعية العلماء المسلمين، جعلت منه مثار غضب عدد من الأعلام، في مقدمتهم الشيخ البشير الإبراهيمي عليه رحمة الله تعالى.

قال توفيق المدني: "ومن اشتهر وذاع صيته بالكتابة العالية ذات الروح القوية، صديقنا العلامة محمد العاصمي المجاهد بقلمه وبدروسه، في سبيل الأمة والعروبة والإسلام، ويعد اليوم في طليعة الكتاب في القطر الجزائري"⁽³⁾.

وقال أبو القاسم سعد الله: "كان من المثقفين العصاميين، أمثال ابن زكري والحفناوي بن الشيخ. جاب المساجد والزوايا والبادية والحاضرة، وحصل على علم غزير، وكانت له نفس بعيدة الهمة تواقة إلى المناصب فوجد ما يريده..."⁽⁴⁾.

وترجم محمد بن العابد الجلالي للعاصمي بترجمة موجزة، ووضعه في المقام اللائق به؛ فيقول: "الناس إزاء حب الشهرة فريقان؛ فريق اتخذها قبلة أعماله التي تصلي إليها، فلا هم له إلا أن يرى ذكر اسمه وصلة بين شفاه العامة وآذانهم ولا عابه بعد ذلك أن يجاوزها إلى محل الخلود من قلوبهم. وفريق أولاهما جانب الإعراض المطلق، فلم يحفل بما شغف به الناس من جمال الشهرة ذات الطلاء المستعار والتزويق الملفق، فاخترار العمل بما يوجبه الحب الخالص لأبناء وطنه مع ملازمة التستر. ومن هذا الفريق الأستاذ الشيخ محمد العاصمي؛ فإنه بقدر ما يقدمه لنا من ثمرات فكره الراقى بواسطة تعليمه لناشئته، وكتابات الممتعة في الصحف الوطنية - كان حرمانه، بل إعراضه عن هذا الأمر المحبوب عند الكثير (شهرة). ونحن لا يهمنا ترجيح أحد المذهبين على الآخر

(1) تاريخ الجزائر الثقافي (3 / 100)، سيأتي بيان كيفية انقلابه في بند: عمله في الإدارة الفرنسية.

(2) معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص 220. موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، 269/2.

(3) كتاب تاريخ الجزائر، أحمد توفيق المدني، ص 99.

(4) تاريخ الجزائر الثقافي (8 / 70)

ما دام أمره إلى فطر النفوس البشرية، وإنما الذي يهمننا كثيرا هو تعريف القراء الكرام بمنزلة هذا الرجل من الخبرة والاطلاع وسداد الرأي ليقدروا أعماله حق قدرها"⁽¹⁾.

ولمكانة الشيخ العاصمي العلمية، نشر له مقاله المميز (الأخلاق والآداب الإسلامية) في كتابه "تقويم الأخلاق"، ومهد له بقوله: "وفي المقال التالي مقنع لطالبي الحقيقة وعشاق البحث في هذه المواضيع الهامة، فقد أجاد صاحبه - حفظه الله - البحث فيه وأفعمه بالنظرات السديدة، والإشارات المفيدة بما لا تشك في إفادته لقرائنا. وهو من إنشاء الكاتب الضليع المقتدر صاحب الإمضاء: خصص به تقويم الأخلاق، فشكرا لإحساساته الشريفة. ونحن ننشره على طوله - لمناسيته لموضوعنا ولغزارة علومه وطلاوة أسلوبه"⁽²⁾.

وعقب أبو القاسم سعد الله على مقالة العاصمي وثناء الجلالي عليه، بقوله: "ويبدو أن هذه الخصائص كانت غير غائبة عن إدارة الشؤون الأهلية الفرنسية، فسعت إلى ترويض العاصمي وإبعاده عن هذا التيار الذي امتدحه عليه المدني والجلالي"⁽³⁾.

كما ساق سعد الله شهادة أحمد توفيق المدني في العاصمي، حيث "أورد صورته في تقويم المنصور ووصفه بأنه كاتب بليغ وبخاتة وأنه قام بجولات في البلاد (الجزائر) وأورد له مقالة هامة في التقويم عنوانها (الاجتماع الجزائري وعماد نهضته الراهنة). وقد امتدح العاصمي فيها تمسك الفرد الجزائري بالملية القومية (الوطنية؟) ومظاهرها أمام موجة التحضر... ونفى أن يكون الدجل والشعوذة من العلم في شيء. واعتبر الدين الإسلامي من أقوى دعائم التمسك بالملية المذكورة. وحكم بأن الإنسان الجزائري يمتدح الطفرة والجمود، وأنه حذر، ولكنه حلوا المعشر، وأنه يحب الحرية حتى أنه يعبدها عبادة، كما أنه متعلق باللغة العربية أشد التعلق. وقد رتبها المدني تحت عنوان أدب المقالة الاجتماعية"⁽⁴⁾.

وذكر في موقف آخر أن "الكلمة التي كتبها العاصمي للتقويم عنوانها (الاجتماع الجزائري وعماد نهضته الراهنة). وقد امتدح فيها الشعب الجزائري على تمسكه بالوطنية (التقاليد) ومعارضته لموجة التحضر. ورأى أن

(1) تقويم الأخلاق، محمد بن العابد الجليلي، ص 104.

(2) المرجع نفسه، ص 20.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي (8/ 72).

(4) تاريخ الجزائر الثقافي (3/ 100)، نقلا عن تقويم المنصور، السنة الخامسة، 1348، ص 276 - 282.

الإسلام من أقوى دعائم هذا التمسك الخ. وهو شعب في نظره، يحب الحرية واللغة العربية، ويكره الجمود كما يكره الطفرة. وهذه خلاصة رأي رجل لا شك أنه استخلصه بعد تجربة⁽¹⁾.

وللشيخ محمد البشير الإبراهيمي موقف شديد من محمد العاصمي، ووظيفته، ومجلة صوت المسجد التي أصدرها ويشرف عليها، فيقول في شأنه: "... وإننا نقولها مرة أخرى في صراحة وصدق: إننا لا نعي بما نقول ذلك الرجل المدعو محمد العاصمي الذي شب في (قصير الحيران)، واكتهل معلماً للصبيان، وشاب خادماً لقاض في ديوان، ... وإنما يعيننا هذا الشيء المسمى محمد العاصمي المفتي الحنفي، الذي وسع الشق، بتنكره للحق، والذي نصب نفسه عوناً للمعتدين على الدين، والذي استطال بقوة الأجانب على ضعف الأقارب، والذي سود وجه الإسلام بمؤازرة الظلام، والذي جعل الإفتاء ذريعة للافتيات، وإساءة الأحياء حجة على إحسان الأموات، والذي أقام نفسه عرضة في طريق مطالبة الأمة بحقوقها، والذي تولى من لم يجعل له الله على الإسلام سلطاناً، والذي قاس حكومة مسيحية على حكومة مسلمة، في تصرف ديني محض، فأغضب الله، وأفسد العلم، وافتى على التاريخ، والذي يتوقع في الإصرار على إفساد عبادات المسلمين بتولي الإمامة ممن لا يدين بدينهم، والذي يرضى لطائفة جعلهم الله شفعاء لخلقهم - أن يكون هو شفيعهم في نيل هذه الوظيفة الشريفة إلى (معمر) مسيحي، والذي يطرب لحكاية المذيع لتنتقلاته في المسجد في وقت يحرم فيه الكلام، ثم يجمع بين ذلك وبين رواية أثر: ومن مس الحصا فقد لغا، الخ، والذي يسعى جاهداً بأقواله وأعماله في إبقاء الشعائر الدينية الإسلامية لعبة في يد من لا يعظم شعائر الله؛ والذي غير دين الله فجعل الكذب والسباب والوقعة والقذف ومدح أهل الحكم والجاه - كلها "من صوت المسجد" ومما يجوز أن يخطب به على منابر الجمع. فهذا هو العاصمي الذي لا نزال نذكره بمثل ما يُجزي به إبليس عن فعلته، ونثني عليه بمثل ما أثني به الأعرابي على بعلته ...".

ويقول: "... إن الحق في القضية أن كلام العاصمي وأمثاله - ممن يطالبون بإبقائها على ما هي عليه - هو من الباطل الذي لا يجوز لمسلم السكوت عنه، لأن فيه تمادياً على بطلان عبادات المسلمين وعلى تعطيل المعنى الذي شرعت له الشعائر؛ وإن الحق الذي حوّمنا عليه مراراً ولم نقع - حتى خشينا أن يصيبنا الله بقارعة من عنده، جزاء على كتماننا - هو أن تولي الإمامة من حاكم مسيحي باطل، وإن طلب الإمامة من ذلك الحاكم قريبة فوق الباطل، وعليه فالصلاة وراء إمام معين من ذلك الحاكم باطلة، ومن ادعى خلاف هذا فهو يكذب بالقرآن، كما هو كاذب على أبي حنيفة النعمان." (2).

3.1 وظائفه نشاطاته الدينية والأدبية والصحفية:

تعددت نشاطات محمد العاصمي وتنوعت بين الدينية والإعلامية:

- بدأ مساعداً (كاتباً) عند الباشاغا ابن الأحرش في الخليفة من 1912م إلى 1919م.

(1) المرجع نفسه (101/3).

(2) آثار محمد البشير الإبراهيمي (151/3).

- ثم أصبح الشيخ العاصمي إماما في أحد مساجد العاصمة (جامع بورقيسة) عام 1920 (1).
- ثم أخذ بعد ذلك ينشط في الأدب والدين، فانظم إلى جمعية تسمى (المهذبة)، وهي جمعية أدبية لا تهتم بالسياسة ولكن تهتم بالأدب والمسرح.
- كان رئيس (الجمعية الودادية لرجال الديانة الإسلامية في القطر الجزائري).
- وتولى إدارة مجلة (صوت المسجد) وأشرف على تحريرها، والتي كانت لسان حال رجال الدين الموظفين. فقد ظهرت سنة 1948 بالعاصمة واستمرت إلى فاتح 1951. وكانت مجلة شهرية أدبية ودينية واجتماعية، وكانت رسالتها جمع كلمة رجال الدين الإسلامي حول الإدارة الفرنسية، ولذلك كانت تصطدم بحركة جمعية العلماء (2).
- كان يشرف على تحرير جريدة الرشاد، وهي من الجرائد المضادة للإصلاح أنشأها عبد القادر القاسمي سنة 1938 (3).
- وشارك مع الشيخ أحمد توفيق المدني في تحرير (تقويم المنصور) فكتب له فصلا (4).
- كما شارك بمقالاته في تحري "تقويم الأخلاق" التي أشرف عليها محمد بن العابد الجلاي (5).
- وكان يعطي دروسا في اللغة العربية في جامعة الجزائر.
- وتولى الإمامة بجامع سيدي رمضان، ثم بالجامع الكبير.
- ومنذ 1944 تولى الفتوى بالجامع الجديد على المذهب الحنفي (6)، وبقي فيها إلى وفاته في حادث سيارة في 14 نوفمبر 1951م (7).

(1) تاريخ الجزائر الثقافي (3 / 100)

(2) المرجع نفسه (5 / 275)

(3) المرجع نفسه (5 / 262)

(4) ينظر: تقويم المنصور، السنة الخامسة، 1348، ص 276 - 282. مقالة: "المجتمع الجزائري وعماد نهضته الراهنة".

(5) تقويم الأخلاق، محمد بن العابد الجلاي، ص 20.

(6) تاريخ الجزائر الثقافي (3 / 101)

(7) المرجع نفسه نقلا عن (تقويم المنصور) السنة الخامسة (1348 هـ)، ص 276 - 282.

4.1 عمله في الإدارة الفرنسية:

لقد أوكلت الإدارة الفرنسية نفسها في تسمية رجال الدين في المساجد، فأهانت بهؤلاء الدين الإسلامي فأهان رجال الدين بذلك شعبيهم وأمتهم، وكان من هؤلاء الذين اندمجوا في الهيئات الدينية الفرنسية محمد العصامي، الذي أنشأ مع جماعة منهم، مجلة (صوت المسجد) التي كانت في الحقيقة صوت (المسجد الفرنسي) (1)، "ومن الواضح أن الذين لا توظفهم فرنسا إلا بعد تحريات وفحوص دقيقة، لا يمكن أن يكونوا في صالح الشعب الجزائري، ولا الدين الإسلامي" (2).

يقول لويس رين: (لا نستغرب أن نجد أئمة يرضون بالأجر (الفرنسي) من أجل القيام بالشؤون الدينية، ونحن نجد منهم ما نريده. لكن جعل رجال الدين (موظفين) فذلك أمر كان يصدم المتعلمين المسلمين، لأن بعض المؤلفات الإسلامية أوصى أصحابها بعدم أخذ الأجر على الصلاة وتعليم القرآن والفقه، ذلك أن رجال الدين في العالم الإسلامي يتقاضون مداخيلهم من أوقاف الجامع الذي يخدمونه) (3).

ويذكر سعد الله أن العصامي "رغم علمه وقلمه الظاهري وابتعاده عن الشعوذة والدجل؛ فإننا نجد قد انضم إلى الجهة التي تساند الإدارة الفرنسية سنة 1932. فكان يكتب في جريدة (الإخلاص) لسان حال جمعية علماء السنة التي عارضت اتجاه جمعية العلماء الإصلاحي" (4).

ثم اعتذر له بقوله: "ولعل وظيفته الرسمية، وليس قناعته، هي التي أملت عليه ذلك الموقف. وهذا الموقف أيضا هو الذي جعله يبقى في إطار الوظائف الرسمية ويتدرج فيها" (5).

ويقول: "وكان الشيخ العصامي، موهوبا، وله قلم بارع، وفكر ناصع، وطموح يشبه الغرور. ومن الصعب على أمثاله أن يعيش في ظل الاستعمار الحرور، فهو إما أن يحترق معه أو يحترق خارجه. ولا ندري كيف سيكون موقف العصامي من ثورة 1954 لو أدركها" (6).

(1) ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، بتصرف (420/4).

(2) المرجع نفسه، (420/4)

(3) المرجع نفسه، (419/4) نقلا عن كتاب مرابطون، لويس رين.

(4) المرجع نفسه (101/3)

(5) المرجع نفسه (101/3)

(6) المرجع نفسه

"وكان هذا الشيخ يملك قلمًا سيلا وفكرًا نيرًا ولكنه انحرف بهما إلى خدمة أغراض غير وطنية. ولا ندري دوافعه إلى ذلك. فقد كان من العناصر المثقفة المستنيرة، وشارك بمقالاته في تقويم المنصور وفي تقويم الأخلاق، وكان مثل الشيخ محمد السعيد الزاهري، صاحب موهبة علمية، ولكن كليهما انزلق في متاهات صنفته في المعادين للوطنية والإصلاح". (1).

1. تعريف مجلة صوت المسجد:

مجلة "صوت المسجد" لسان حال رجال الديانة الإسلامية في القطر الجزائري، مجلة شهرية دينية علمية أدبية اجتماعية تاريخية أخلاقية (2). وتتحلى صفحتها الأولى بالآيات القرآنية والأحاديث الدالة على العبادات في المسجد (3).

ظهرت سنة 1948 بالعاصمة، واستمرت في الصدور حتى جوان 1950م، ولعلها توقفت بعد وفاة صاحبها (4). وذكر سعد الله أنها استمرت إلى فاتح 1951 (5).

تولى إدارتها وأشرف على تحريرها الشيخ محمد العاصمي (6). وكانت رسالتها جمع كلمة رجال الدين الإسلامي حول الإدارة الفرنسية، ولذلك كانت تصطدم بحركة جمعية العلماء (7).

قال محمد ناصر: "أصدرتها السلطة الفرنسية لتضرب بها الأحزاب والجمعيات ذات الطابع الإسلامي الحر في الجزائر" (8).

(1) المرجع نفسه (262/5)

(2) هكذا ورد في عنوان المجلة في الصفحة الأولى منها، ينظر: صوت المسجد، السنة الأولى، العدد 06، فاتح مارس 1949م.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي (5 / 275)

(4) الصحف العربية الجزائرية، د. محمد ناصر، ص 347.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي (5 / 275).

(6) الصحف العربية الجزائرية، د. محمد ناصر، ص 347.

(7) تاريخ الجزائر الثقافي (5 / 275)

(8) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، 278/2.

وللشيخ محمد البشير الإبراهيمي موقف من هذه المجلة، فقال: "فإن التفسير الصحيح لصوت المسجد هو هذه الأصوات المنبعثة من قلوب الأمة، المطالبة بحرية المساجد وأوقافها، وسيتردّد صداها، حتى تبلغ مداها، وإن شذّ عنها صوت العاصمي. ومن يضلّل الله فما له من هاد"(1).

أما ما ينشر في المجلة من مقالات فقال عنها الإبراهيمي: "أما مقالات المجلة فإني لم أقرأها، ولا شأن لي بها، وإنما أحكم عليها بمثل حكم صاحب المجلة عليها، وهو أنه لا عبرة بها، لأن غرضه الأساسي هو شيء اسمه مجلة، اسمها صوت المسجد، يتخذه سلماً لدرجات من الجاه يتطلّع إلى بلوغها، وأسار من المال يتحرق على ولوغها. وإذا حصلت المقاصد، فعلى الوسائل العفاء"(2). فمن أقواله في "صوت المسجد": "وهل يرتفع للمساجد صوت وهي في قبضة الاستعمار؟ وهل يؤدّي المسجد اليوم جزءاً مما كان يؤدّي في أيام السلف الأبرار؟ وهل يحقق وظيفته وهو محروم من أصوات العلماء الأحرار؟ أسئلة نوجهها للمبتدع لهذه التسمية، فلا يجب عليها بالتعمية. أم يقول: إن صوت المسجد هو صوت "النائحة المأجورة... "صوته الذي يتشاجى به، ويتباكى فيه، في خطبه الجمعية التي تُردى (تذاع بالراديو) وما يسبقها من أصوات تنقلته خطوة خطوة إلى أن يركب على أعواد المنبر؟ فقد حكى الحاكون من ذلك العجب العجيب"(3).

2. مقالات محمد العاصمي في تفسير الذكر الحكيم:

كان محمد العاصمي من المحررين لمقالات (صوت المسجد)، فكان يلخص تفسير بعض الآيات وينشره فيها، ولعله كان يلقي دروساً في الجامع، ثم يقوم بتلخيص ذلك في المجلة(4). يقول سعد الله: "وقد وصلتنا أعداد من (صوت المسجد) من سنة 1949 - 1951، فوجدنا افتتاحياتها تحمل هذا العنوان الطويل: (عرض وتلخيص واستنتاج من تفسير الذكر الحكيم) بقلم محمد العاصمي. وطريقة ذلك أنه يذكر آية ثم يعرض معناها ويلخصه ويستنتج منه باختصار، وليس في (الاستنتاج)، بمعنى الاستنباط، ما يذكر هنا. فالمساحة لكل ذلك عبارة عن صفحة. وقلما يسقط معنى الآية على الأوضاع الحاضرة، ورغم بساطة الأسلوب فإن المعنى يظل بعيداً عن الواقع. ومهما كان الأمر فإن ما كتبه العاصمي في هذا الصدد لا يخرج عن مهنة الوعظ والإرشاد التي كان يقوم بها في حدود ما تسمح به الظروف الإدارية"(1).

(1) الصحف العربية الجزائرية، د. محمد ناصر، ص 347.

(2) آثار محمد البشير الإبراهيمي (3/151).

(3) آثار محمد البشير الإبراهيمي (3/151).

(4) تاريخ الجزائر الثقافي (7/ 26).

ومما يذكر أيضا أن محمد العاصمي كان ينشر في مجلة (صوت المسجد) الرسمية مقالة رئيسية بعنوان (عرض وتلخيص واستنتاج من شرح الحديث الشريف) (2).

3. مقالات محمد العاصمي في شرح الحديث الشريف:

كان لمحمد العاصمي نافذة في مجلة (صوت المسجد) الرسمية خصصها لشرح عدد من الأحاديث النبوية، عنونها بـ (عرض وتلخيص واستنتاج من شرح الحديث الشريف) (3).

وما كتبه العاصمي في هذا الصدد لا يخرج عن مهنة الوعظ والإرشاد التي كان يقوم بها في حدود ما تسمح به الظروف الإدارية (4).

وقد جمع تلك المقالات عبد الرحمان دويب في جزء خاص طبعه مع مجموعة من الرسائل والإجازات في مجلد واحد (5).

لكنه لم يخرج أحاديث وآثار ونصوص تلك المقالات، ولا التعقيب عليها، ولا بيان مسلك العاصمي في شرحها، فعمله في نشرها هو طبعها كما هي في أعداد مجلة صوت المسجد.

والمتتبع لمحتوى تلك المقالات، يلحظ أنها تدور في محاور ثلاثة:

الأول: العقيدة

الثاني: العبادة

الثالث: الأخلاق.

ولم يتطرق العاصمي في مقالاته للأحاديث ذات الصلة بالواقع الاجتماعي والاقتصادي، والسياسي. وهذا يفسر القيود التي كانت تحكم خط جريدة "صوت المسجد" من قبل الإدارة الاستعمارية آنذاك.

1.4 مصادره من كتب السنة:

- (1) تاريخ الجزائر الثقافي (7 / 27)
- (2) تاريخ الجزائر الثقافي (7 / 47)
- (3) ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي (7 / 27)، وصوت المسجد، العدد 06/ السنة الأولى / فاتحمارس/ 1949م.
- (4) تاريخ الجزائر الثقافي (7 / 27)
- (5) ينظر: 'جازات علماء الجزائر ورسائل حديثية، عبد الرحمان دويب، ص 9-140. وقد اعتمدنا في بيان طريقة العاصمي في شرح الحديث النبوي على جمع عبد الرحمان دويب؛ لعدم تحصيلي على سلسلة مجلة صوت المسجد.

كانت عناية العاصمي بمصادر السنة شاملة للصحيحين، ومسند أحمد، والسنن الترمذي، وابن ماجه، والحاكم وغيرها.

إلا أنه اعتمد صحيح الإمام البخاري أصلاً؛ فإن خلا البخاري من حديث الموضوع نظر في غيره كصحيح ومسلم ومسند أحمد.

وكأنه ارتأى أن يكون شرحه مؤسساً من أحاديث البخاري، فتجده يقول في افتتاحية المقالة: "وبالسنن إلى الإمام الحجة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري في صحيحه (رضي الله عنه)"، وقع له هذا في أكثر المقالات، وخاصة الأخيرة منها⁽¹⁾.

وفي بعضها يستهل مقالته بقوله: "وفي صحيح البخاري حديث فلان... وترجم له بقوله: باب كذا⁽²⁾". وقد يعتمد مصادر أخرى غير البخاري كما وقع له في المقالتين الأولى والرابعة: ففي الأولى: افتتحها بقوله: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان. وتلا: [إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] (التوبة: ١٨)، رواه أحمد والترمذي وحسنه، وابن ماجه والحاكم وغيرهم، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه"⁽³⁾. وهذا الحديث لم يخرج في البخاري ولذلك اعتمد غيره من المصادر المذكورة. وفي المقالة الخامسة: "فمما رواه أحمد في مسنده، والترمذي في صحيحه في موضوع: أفضلية الصحابة وما وقع فيها من أخذ ورد، ما يأتي: عن ابن عمر قال: "خطبنا عمر بالجابية... الحديث"⁽⁴⁾. وهذا الحديث أيضاً لم يخرج في البخاري؛ ولذلك اعتمد غيره من المصادر المذكورة.

2.4 مصادره في شرح السنة:

إن المتتبع لمقالات محمد العاصمي، يلحظ غياباً تاماً لمصادر شروح السنة المعهودة، وكان يعتمد أساساً على اجتهاده الخاص في فهم الأحاديث النبوية، والآثار، وتوجيهها، مستعملاً في ذلك اللغة والبيان.

(1) ينظر: إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثية، عبد الرحمان دويب، ص 9-140. المقالات: 06، ومن المقالة 11 إلى غاية المقالة 20.

(2) ينظر: إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثية، عبد الرحمان دويب، ص 9-140. المقالات: من المقالة 02 إلى غاية المقالة 04، ومن المقالة 07 إلى غاية المقالة 10.

(3) ينظر: إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثية، عبد الرحمان دويب، المقالة الأولى، ص 17.

(4) ينظر: إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثية، عبد الرحمان دويب، المقالة الخامسة، ص 45.

وإذا خرجنا من مصنفات شروح السنة؛ فإننا نجد له إشارات قليلة ونادرة لبعض المصنفات، كإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.

بل أنك لا تجده يصرح بأسماء العلماء، في موضع ذكر المواقف، بل يجمل في ذلك.

3.4 طريقته في عرض مقالاته:

اتبع أبو الفيض مسلكا تلمس معالمه واضحة في جميع مقالاته، مستمدة من عناوينها، فهو لم يعنون كل مقالة بموضوعها، بل جعل لذلك عنوانا موحدا "عرض وتلخيص واستنتاج من شرح الحديث الشريف".

فالعناصر الأساسية لهذا العنوان ثلاثة:

1.3.4 التمهيد: وهو ليس الغالب في صنيعه، لأن المساحة المحددة للمقالة في المجلة لا تسمح له بالتفصيل أكثر، فمن عشرين مقالة، لم يمهّد إلا لثلاث منها فقط.

وطريقته لم تأخذ مسلكا منضبطا، فتراه أحيانا يقدم نص الحديث على التمهيد، وأحيانا أخرى يبدأ بالتمهيد، ومن ثم يذكر الحديث.

ففي المقالة الأولى مثلا أورد نص الحديث الشريف، قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان)، ثم مهد للشرح بقوله: "إن هذا الجزء من هذه المجلة لجدير بأن يكون حافلا بالإشادة بالمسجد؛ لأنه علاوة على أن تسميتها بـ (المسجد)، أتاحت لنا استفادة البحث فيه..."⁽¹⁾.

وفي المقالة الثانية والرابعة: قدم التمهيد على نص الحديث⁽²⁾. وفي باقي المقالات لم يمهّد لها بشيء.

2.3.4 العرض: يتناول فيه المعنى العام للحديث، والهدف العام منه أيضا، كما يعرج لشرح ألفاظ الحديث، والقضايا البلاغية والبيانية ذات الصلة ببيان معاني الأحاديث، وإذا وقف على إشكالات فإنه يتوقف عندها، ويفك ألغازها، ويورد الأدلة إذا كان الموقف يتطلب ذلك. وهو في كل ذلك يعتمد أساسا استعمال عقله وجهده الفكري، مقلّا في ذلك من الاستناد إلى مصادر الشروح وفروعها.

مثال ذلك: أنه تناول في المقالة الخامسة موضوع أفضلية الصحابة وما وقع فيها من أخذ ورد، وساق فيها حديث ابن عمر: "خطبنا عمر بالجابية..."⁽¹⁾.

(1) إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثية، عبد الرحمان دويب، المقالة الأولى، ص 17.

(2) ينظر: إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثية، عبد الرحمان دويب، المقالة الأولى، ص 24، 36.

وذكر في معروضات هذا الحديث:

1. أهداف الحديث: وذلك في قوله: "إن هذا الحديث يهدف في جملته إلى ما هي الميزات التي بها تتحقق أفضلية فرد على آخر، أو جماعة، أو أمة على أمة، في عصر من العصور، قياساً على ما قيل في أفضلية الصحابة، ومن بعدهم..." (2).

2. ثم تناول مفردات الحديث: فقال: "ومن معروضاته فيما يخص مفرداته، لفظ الجابية..." (3).

3. ثم شرح الحديث: وتحدث عن إسقاطاته الواقعية، لكن دون تشخيص، وهذا ما يميز كتاباته على وجه العموم. فقال: "ونص هذا الحديث على أن فشوا الكذب وشهادة الزور والأيمان الفاجرة، والدعارة وتدهور الأخلاق إلى الحضيض، يعقب نهاية القرن الثالث... وفي هذا الإنذار النبوي تحذير للحاكم المتيقظ والعالم العامل، والمؤمن الصادق..." (4).

3.3.4 الخلاصة:

الأصل في الخلاصات أن يحمل الباحث ما تم تفصيله، في عبارات محددة، ويكون موضعها آخر الكلام. وطريقة العاصمي جعل التلخيص نهاية عروض المقالات، وليست كالاخلاصات المعهودة، بل تفصيل في المقاصد المستوحاة من الحديث، والدروس المستفادة. مثال ذلك: أنه ذكر خلاصة شرحه لحديث ابن عمر السابق، بعد العرض مباشرة، بين فيها طريق الخلاص، ومسلك النجاة باتباع السلف الصالح في القرون الثلاثة الأولى، فقال: "أن رسول الإنسانية ونبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه أهـب بالمسلمين في كل زمان ومكان على لسان الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن يتمسكوا إن أرادوا المجد الخالد والسعادة في الحياة الباقية الدائمة بما عليه السلف الصالح في الصدر الأول، وهو العهد الزاهر بيقين وإخلاص وتقوى أصحابه الغر الميامين العظام، ومنهم الخلفاء الراشدون، والعشرة المبشرون بالجنة، ومن إليهم رضي الله عنهم، على أن

(1) أخرجه أحمد في مسنده، 268/1 ح 114، والترمذي، سنن الترمذي ت شاكر، باب ما جاء في لزوم الجماعة (4/ 465 . 466). قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وقد رواه ابن الميثار، عن محمد بن سؤفة، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم".

وقال شعيب الأنطوط ومساعدوه: "صحيح على شرط الشيخين" ينظر مسند أحمد الهامش، 310/1.

(2) ينظر: إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثية، عبد الرحمن دويب، المقالة الخامسة، ص 45

(3) المرجع نفسه، ص 46

(4) المرجع نفسه، ص 46

عصرهم المليء بالعظائم يستمر تألقا لآلئه إلى منتهى ذلك العصر، عصر الصحابة، ما يعصم المسلمين من التردى في مهاوي الانحطاط مأخوذون بحالك ظلمات الجهالة والعصبية الجاهلية المفرقة والمشتتة للوحدة، والأنانية الهدامة للألفة⁽¹⁾.

ومن إسقاطاته الواقعية في هذه الخلاصة، ما خلصه من الحديث، فقال: "وقد أنذر صلى الله عليه وسلم من سوء المنقلب قبل أوانه تحذيرا من ويلاته التي من علاماتها نجوم قرن الكذب والبهتان، إلى حد تبرع المسلم بحلف الأيمان الفاجرة وشهادة الزور، بل وجعل العهر السري و العلني ميسم الرقي والمدنية ، في حين أنه أحبولة محكمة ينصبها إبليس ودعائه للأغرار للقضاء على كل ما لهم من صحة بدن ودين، واتخاذ التفرقة بين المسلمين أداة للعيش والتزعم، بل سلاحا لقتل الملايين في سبيل إعاشة أفراد يعدون على الأصابع، بإغراء من الشيطان وأعدائه أيضا، وتزيينه لأولئك الهدامين سوء أعمالهم وإقناعهم كذبا وبهتاننا بأنه نصير لهم على غيرهم، لكن سرعان ما تظهر الظروف أنه عدو ألد للمنصورين والمغلوبين معا"⁽²⁾.

وهذا كلام نفيس ينبئ على مدى إدراك العاصمي لواقعه، وإدراكه لأيقونة اللعبة السياسية، وما يترتب عليها من وسائل نذلة في سبيل تحقيق أطماع شيطانية.

وخلص في الأخير للإشارة إلى أن الخلاص بالوازع الديني، فقال: "وإن النبي صلى الله عليه وسلم ختم هذا الحديث بجملة - "من سرته حسنته ، وساءته سيئته فذلك المؤمن" - ، إن شوهده تمكن مدلولها من قلوب أفراد الأمة، وظهرت آثاره عليهم، دل على قوة الإيمان التي بها وحدها التغلب على معاول الهدم ، تلك التي حذر منها صلى الله عليه وسلم أمتة العائشة فيما بعد القرن الثالث؛ لأن السرور بالحسنة والحزن من السيئة من خصال الإيمان؛ لأن صحيح الإيمان وخالص الدين لا يزال من سيئته في غم لعلمه بأنه مأخوذ بها محاسب عليها ، ولا يزال من حسنته في سرور؛ لأنه يعلم أنها مدخرة له في صحائفه فلا يزال حريصا على ذلك حتى يوفقه الله عز وجل لحسن الخاتمة، أما ضعيف الإيمان أو مقفر القلب من اليقين، العابد للمادة والماديين فلا يبالي أحسن أم أساء، حرمانه بالاستنارة بالوازع الديني"⁽³⁾.

4.4.4 الاستنتاج:

(1) المرجع نفسه، ص 50

(2) المرجع نفسه، ص 50-51

(3) المرجع نفسه، ص 51

جعل العاصمي الإسقاط الواقعي محتوى الاستنتاج لما سبق تفصيله من شرح ومقاصد ودروس في الاستهلال والعرض والخلاصة، فمثلا في حديث ابن عمر السابق، استنتج منه "أن قادة المسلمين كانوا ومازالوا لن يزالوا متنكبين عن سيرة سلفهم الصالح، وغير منتفعين بنصائح الرسول صلوات الله وسلامه عليه؛ لأنهم آثروا عمدا وقصدا ما يفنى من حظوظ ومتع هذه الحياة، على ما يبقى من سعادة الحيا والممات، لهم ولشعوبهم، ومسؤولية جعل أمهم عرضة للهوان في هذه الحياة والشقاء في الأخرى، تحمل عليهم لأنهم مثل الراعي للقطيع فيه كل خير من غذاء ودسم ودفع، فأهملوا برعيه في أحراش لا تنمي لحما، ولا تكون شحما، ولا توفر لبنا مع أن الصحابة ظلت خيريتهم مثالا للاقتداء والاحتذاء، وقد خطب عمر بمن الخطاب بهذا الحديث لأهميته... وكذا أخذت مساوئ الأخلاق تتغلغل في العالم الإسلامي - إلا ما قل - التغلغل الذي أدى به إلى ما عليه حالته السوأى اليوم، على أن إلى ما يدعو إلى التفاؤل في المستقبل، هو أن ما سبق من المحن التي جرها قاداته سهوا حينها، وقصدا في أحيان أخرى، هو من أقسى الدروس العملية، وهي كفييلة بتيقظ شعوبه وجاهيرها، واستقامة أولئك القادة أنفسهم مرغمين لصالح الجمع، وبمومئذ يحمد القوم السرى"⁽¹⁾.

فهذا الاستنتاج العملي من العاصمي يبين أن عزة الشعوب بعزة قاداتهم، وهوانهم بهوان من يقودهم، وأنه كلما انجر القادة خلف الحياة الفانية، ونسيان مشاكل شعوبهم وعلاجها عجل ذلك بانحيار كيان الأمة بأكملها.

وهذا الاستنتاج يوحى بمعايشة العاصمي لواقعه برصد وكشف أسباب هوان المجتمع وفساده وتقهره.

4. خاتمة:

بعد هذا الإسهاب في التعريف بمحمد العاصمي ومكانته وطريقته في شرح الحديث النبوية، نخلص إلى النتائج الآتية:

1. يعد محمد العاصمي علما جزائريا في اللغة العربية والبلاغة والخطابة.
2. إشرافه على عدد من الصحف والمجلات الدينية والدعوية والاجتماعية جعلت منه رجلا متخصصا في هذه المجالات.
3. اشتهر محمد العاصمي بكتاباته الصحفية، مثله مثل غيره في تلك المرحلة التاريخية؛ إذ الصحف الفضاء الأكبر لنشر الآراء ومعالجة مشكلات الواقع.

(1) المرجع نفسه، ص 51 - 52.

4. قراءة مقالاته في شرح السنة تنبئ على تمكن محمد العاصمي من هذا الجانب، وأنه استفاد من دراسته الأولى في الزوايا والمعاهد.
5. كشف شرحه للحديث على الشخصية العلمية لمحمد العاصمي، ومراعاته للمنهج موحد في تحرير مادة شرحه وترتيبها في نسق منهجي علمي.

5. قائمة المراجع:

الكتب:

1. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى، 1997.
2. إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثة، عبد الرحمان دويب، دار التوفيقية، ط1، 2011.
3. تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998م.
4. تقويم الأخلاق: محمد بن العابد الجليلي، المطبعة الجزائرية القسنطينية، 1345هـ، 1927م.
5. تقويم المنصور، السنة الخامسة، 1348، أحمد توفيق المدني، مطبعة محمد الموهوب، الجزائر.
6. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ). تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاکر (ج 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3) وإبراهيم عطوة عوض (ج 4، 5). شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر. الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م.
7. الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، د. محمد ناصر، ط3، 2007، دار الغرب الإسلامي.
8. كتاب تاريخ الجزائر، أحمد توفيق المدني، د ت ن.
9. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ). المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
10. معجم أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: عادل نويهض. مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان. الطبعة: الثانية، 1400 هـ - 1980م.
11. موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، جماعة من المحررين بإشراف رابح خدوسي، دار الحضارة، بئر توتة، الجزائر، سنة 2003م.

المجلات:

1. صوت المسجد، العدد 06، السنة الأولى، فاتح مارس 1949م.